سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله) عند الاسبان في العصور الوسطى

أ.م.د. عدنان خلف سرهيد
كلية التربية الجامعة المستنصرية

الكلمات المفتاحية: النبي محمد. الاستشراق. الاسباني

الملخص:

اهتم هذا البحث بتتبع سيرة الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه واله(في الاستشراق الاسباني بعصوره الاولى وبدايات تلامسهم مع العرب، ولاسيما عند علمائهم الذين يعدون من اوائل الاسبان الذين كتبوا في تاريخهم عن الرسول محمد صلى الله عليه واله(والمسلمين، محاولين بصوره او اخرى تفهم طبيعة المسلم وديانته للتعرف عليها عن كثب لإفحامهم فكريا، وكذلك التعرف على حياتهم الخاصة من اجل فهم طبيعة المسلم لمحاكاته فكريا تأثراً بالمسلمين لما يمتلكوه من حضارة متميزة في ذلك الوقت. ولاسيما صاحب الرسالة الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، والاطلاع على ما كتبه هؤلاء عنه محاولين استجلاء الحقيقة، التي اراد هؤلاء المتعصبين اخفائها ليزوروا تاريخه المشرف واظهاره بمظهر اخر يتنافى مع شخصيته العظيمة ومن خلال دراستنا لمؤلفات، غير متناسين الاحداث النادرة التي يذكروها، والتي اختلف فيها المسلمون فيما بينهم، فوافقوا فرق وخالفوا اخرى بحسب رؤيتهم للأحداث.

المقدمة:

اولاً: الاستشراق الاسباني

كان الاسبان من أوائل الشعوب الاوربية الذين احتكوا احتكاكاً مباشراً بالحضارة الإسلامية. نظراً لان المسلمون قد استمروا بالسيطرة على اسبانيا لأكثر من ثمانية قرون. لذلك من الممكن ان نعد الاستشراق الاسباني هو الرائد الأول في الدراسات الإسلامية في

اوروبا[1] لاسيما وان بعض هؤلاء الاسبان قد اعتنقوا الديانة الإسلامية والبعض الاخر استعربوا الثقافة العربية الإسلامية ونهلوا من معينها ويطلع عليهم تاريخيا اسم المستعربون.
واخرون جاوروها فاصبحوا جزءاً من هذه الحضارة فكان الحوار الحضاري بين أبناء الأرض المشتركة يتخلله حوار او صراع ديني فضلا عن السياسي- من اجل اثبات احقية اتباع الملتين بديانتهم والتعرف عن قرب على تلك الديانات وما تحمله من ايدلوجية فكرية محاولة التأثير باتباع كليهما او النيل من الطرف الاخر وقد سخّر الاسبان منذ وقت مبكر امكانياتهم العلمية في سبيل التعرف على الطرف الاخر فاخذوا يقتربون بالدرس والمطالعة من الحضارة المجاورة لهم وبعثوا طلابهم ينهلون من معين المعرفة الإسلامية التي اعجبوا بها ايما اعجاب اذ برز الاستشراق هنا لإيقاف التأثير الإسلامي في العالم الغربي، ثم تطور ليخدم مشروع تنصير المسلمين. وقد كان هدف الاستشراق منذ نشأته خدمة الكنيسة[2]، "وقد تعاونت الكنيسة مع ملوك اوروبا على شد ازر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم التي كان نصفها الأول سياسياً ونصفها الاخر تبشيريا تعصبياً[3]" وحسب ما يرى بعض الباحثين فان" الاستشراق قد يبدأ بنشاط الرهبان في مجال الترجمة، حيث توجهت البعثات العلمية المسيحية الى الاندلس"[4].
ونمت الدراسات العربية في اسبانيا بطريقة تختلف عن ما هي علية في البلدان الاوربية الأخرى، بدافع الاهتمام بماضي البلاد والمشاركة بدافع الحماس غالباً في الصراع الدائر حول طبيعة القرون الثمانية للسيادة الإسلامية وقيمتها. إذ تعد العمارة والنقوش، والعملات، والوثائق المحفوظة شاهداً ناطقاً على سطوة التأثير العربي في الالفاظ الاسبانية والاسماء الجغرافية لشبه الجزيرة[5].
وربما حاول بعض المفكرين ابراز الأثر الكبير للحضارة العربية الإسلامية على اوروبا، ومنهم على سبيل المثال الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا اذ صرح قائلاً "ان هناك قدراً من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا لعالم الإسلام، فالعالم الإسلامي في العصور الوسطى كان عالماً ازدهر فيه الباحثون المختصون ورجال العالم، ولكننا جنحنا الى تجاهل ذلك، وقللنا من اهميته ثمان مائة سنة، كانت اوروبا خلالها عالة على اسبانيا الاسلامية، التي حافظت على العلوم والمعارف، فوضعت الثقافة الإسلامية بالأندلس أساس اللبنات الأولى للنهضة الاوربية"[6] ويضيف "كانت اسبانيا في عهد المسلمين اكثر من مجرد مخزن للاحتفاظ بالعلوم والمعارف الشرقية، بل فسرت تلك الحضارة، وتوسعت بها، وقدمت مساهمة هامة في جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني، في العلوم والفلك والرياضيات والجبر، والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية

وعلم الدين والموسيقى، وقد ساهم ابن رشد في الشرق في دراسة الطب ومماسته بطرائق انتفعت بها اوروبا لقرون عدة"[7].

وقد تميزت المدرسة الاسبانية "عن غيرها من المدارس الاوربية بعكوفها على الإنتاج الفكري الذي تركه المسلمون في اسبانيا. ومن ثمة اتيحت للإسبان فرصة تأسيس دراسات تاريخية – فكرية – نقدية اعتمادا عل الوثائق والاثار الشاهدة وليس على الفرض والتخمين بالإضافة الى الثنائية الأولى (ذات/اخر) يأتي الوجه الاخر للإشكالية وهو (سيرة/ تأريخ) = (سيرة/ استشراق)[8].

وفيما يتعلق بالدراسات التاريخية حول سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله) فقد كانت أولى المحاولات لبداية اهتمام الاسبان بالسيرة النبوية يعود الى القرن التاسع الميلادي[9] . وكنموذج لذلك الاهتمام بالسيرة النبوية فقد اهتم الاسبان بحادثة الاسراء والمعراج والتي هي جزء من سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، والتي ترجمت الى الاسبانية، وهي التي اوحت الى دانتي كتابه الكوميديا الالهية[10].

وترجمت هذه القصة الي الاسبانية سنة 661هـ/1263م او سنة 675هـ/1277م[11] وتحديداً في زمن الفونسو العالم[12] ومنها انتقلت الى اللاتينية والفرنسية[13].

وكانت هذه القصة هي اكبر قصص السيرة النبوية انتشرت في اسبانيا واوروبا وكون الغرب صورته عن صاحب الرسالة (صلى الله عليه واله) من خلال تلك الروايات التي تناقلها الاندلسيون في كتبهم وفي تراثهم الشعبي "الا ان معظم الكتابات الغربية ومنها الكتابات الإسبانية التي تناولت سيرة النبي (صلى الله عليه واله) قد تلوثت بفيروس مناخ المواجهة بين الشرق والغرب، وانتمت الى نظام من المعرف محكومة بعلاقات القوة والمصالح الدنيوية التي كثيراً ما تتخذ الدين مظلة أيديولوجية لها، وتتخذ ذلك ذريعة لتدجين الاخر واحتوائه، والسيطرة عليه وتقدير مصيره"[14].

وستدور دراستنا في فكر الاسبان الذين تناولوا تاريخ الرسول محمد(صلى الله عليه واله)، وستنصب هذه الدراسة حولة سيرة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله)، وسنعرض في جوانب هذا البحث كتاباتهم ونبين ما فيها من جوانب مشرقة ونقاط مضيئة وايضاً السلبيات المغلوطة التي ذكروها. وسنحاول ترتيب تلك الاحداث التي ذكرت ترتيباً تاريخياً بحسب السيرة المباركة للرسول الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله).

ثالثاً: سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله)

1. ولادته: لم تسلم حادثة ولادة الرسول محمد(صلى الله عليه واله) من محاولات الدس والتشوية والافتراء من قبل المستشرقين وغيرهم، اذ يذكر الفونسو العالم أو الحكيم (Alfonso X Elsabio 650-681هـ/1252-1282م)" انه عند قرب ولادته (صلى الله عليه واله) اصيبت الجزيرة العربية بالقحط ولم تعد الارض قابله للحرث ولا الزرع. وقد تنبأ بولادته احد اليهود المتضلعين في علم التنجيم"[15] ويذكر مارمول ولادة الرسول محمد(صلى الله عليه واله) بقوله انه ولد في " اليوم الثاني عشر من الشهر الثالث، فهم يقولون [يقصد المسلمون] انه في ذلك اليوم"[16] وذكر في مكان اخر انه ولد في شهر شباط عام (569م)[17] وحدد كذلك تاريخ ولادته بالتاريخ الهجري، اذ يذكر انه ولد في الثاني عشر بشهر الثالث (ربيع الأول) من أشهر السنة القمرية[18].

والملاحظ ان مارمول هنا ينقل عن مسلمين "اخرين ممن يعدون ثلاثة عشر شهراً قمرياً. يضيفون كل أثني عشر شهراً شمسياً وحداً في بداية العام. فيضحي هناك محرم الأول Moharraan Primeor ومحرم الثاني Moharraan Seguudo"[19].

وهو خطأ فادح اذ ليس للمسلمين تاريخ بهذا الشكل فلا وجود لمحرم أول او ثاني عدا شهر محرم المعروف وذلك جهل المؤلف بعدد الأشهر القمرية. ويعزز جهله بالأشهر اذ يذكر ان للمسلمين تقويمان "هجري واخر قمري"[20] وهو أيضا من الأخطاء التي وقع فيها المؤلف، واخطأ كذلك في مكان ولادته اذ جعلها في يثرب[21] وليس في مكة كما هو ثابت تاريخياً. وهو ما أكده قسم كبير من المؤرخين المسلمين[22].

وكذلك ذكر اليوم الذي ولد في الرسول محمد (صلى الله عليه واله) والذي كان المسلمون يسمونه بـ(المولد Maulud)[23] وهي احتفالية يقوم المسلمون بإحيائها احتفاء بذكرى ولادة الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، وعادة ما تكون لها طقوس معينة تختلف من بلد الى اخر[24].

1. **اسمه ونسبه:** يذكر مارمول نسبه بصورة مقتضبة اذ يقول هو "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف"[25] بن فصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مسعد بن عدنان[26] وقد روي عن الرسول محمد (صلى الله عليه واله) ان قال "اذا بلغ الى عدنان فامسكوا"27. واما الفونسو في كتابه تاريخ العالم فقد ذكر خطا ان " حليمه جده النبي"28.

2. **نشأته:** اتهم المستشرقون الرسول محمد(صلى الله عليه واله) باقتباسه دينه من اليهود والنصارى، وهي من التهم الشهيرة التي يعول عليها هؤلاء للنيل منه، اذ يذكر إوخيلو ان الرسول (صلى الله عليه واله) "راح يتردد بشكل مستمر على تجمعات النصارى واستطاع بفضل ذكائه ان يحفظ بعض مبادئهم، فصار من أكبر العارفين بين جهلة قومه العرب"[29].

ويعضد هذا القول الفونسو العالم، ويلتقي بما قاله إوخيلو من اتهامات باطلة، تسي لمقام الرسول محمد(صلى الله عليه واله) اذ يقول عنه (صلى الله عليه واله) ان الديانة التي اتى بها محمد(صلى الله عليه واله) هي من بقايا مذهب من نقولاس الانطاكي الذي لا يؤمن بالمسيح ويدعو الى حب الشهوات والانحلال الاخلاقي. لهذا نجد محمدا يحيط نفسه بعدد من النساء لا تربطه معهم سوى علاقة غير مشروعة، كمان أن محمدا تعرف خلال اسفارها التجارية الى مصر وفلسطين على راهب مسيحي مرتد بانطاقيا وصاره صديق له، ومنه تعلم كيف يرد على اليهودية والنصرانية كلما اقتضى الامر ذلك[30].

ويحاول مارمول وغيره ان يثبت ان الرسالة السماوية الإسلامية ما هي الا نتيجة تأثير الديانتين السابقتين على الرسول (صلى الله عليه واله) او رسالته ما هي الا اقتباس منها. ويؤكد ذلك بقوله انه بعد ان أصبح الرسول محمد (صلى الله عليه واله) وسرجيوس أصدقاء حميمين. جعل من تعاليمه عصاره مذهبه وجعله سرجيوس يتكلم بأمور روحانية مما جعل الناس ينصتون اليه بإعجاب[31].

ذكر مارمول انه نشاء في الجزيرة العربية. وقد ذكر عدة أمور تسي للرسول (صلى الله عليه واله) ولا تمت للحقيقة بصلة، بل كل ما ذكره مغاير للحقيقة ولصفات الرسول (صلى الله عليه واله) الحقيقية. اذ يذكر ان محمد(صلى الله عليه واله) عاش في كنف يهودي وتلقى تعليمه منه وتنبا له بمستقبل عظيم[32]. ويذكر ايضاً انه ومن خلال عمله بالتجارة التقى مع راهب من انطاكية يدعى ابان[33]. وقال كانت له صداقة مع راهب يدعى سرجيوس والذي تم طرده من الكنيسة بسبب الأريوسية[34]. وقد نهج بمثل ذلك من اتى بعده من المستشرقين امثال بروكلمان الذي تحدث عن اتصالات النبي (صلى الله عليه واله) باليهود والنصارى في مكة معتبراً إياهم المعلمين المسيحيين الذين عرفوه بإنجيل الطفولة والذين انتقد جهلهم بكتبهم بقوله كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة[35].

ويغالي اكثر عندما يذكر بان الرسول محمد (صلى الله عليه واله) كان يزاول مهنة السرقة[36]

في مطلع حياته وهو ما لم يثبت عليه (صلى الله عليه واله)، بل شهدت له المرويات التاريخية من تلك الفترة انه كان يدعى بالصادق الامين.

وذكر مرة أخرى ان الرسول (صلى الله عليه واله) قد تم بيعه الى أحد التجار ليزاول هناك مهنة التجارة[37]

وهو ما لم يثبت ايضاً اذ انه تاجر لخديجة (عليها السلام) في بداية شبابه قبل ان يتزوجها[38] ويقول إولوخيو عن تلك المرحلة وعلاقته مع السيدة خديجة(عليها السلام) قائلا: "عندما كان طفلا ادخل في خدمه ارملة ثم اصبح رجل اعمال طموح"[39]

وذكر هو انه قد اشتغل بالتجارة مع عمه ابي طالب (عليه السلام) بعد ان أصبح يتيماً اذ كفله عمه (عليه السلام) وبعثه بالتجارة الى مصر وسوريا وأماكن اخرى[40]

3. **والداه:** ذكر مارمول بان والده كان اسمه عبد الله بن عبد المطلب حفيد عبد مناف[41] ، اما أمه تدعى "أمينة"[42] والمقصود بها السيد أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة[43]. ولعدم معرفة مارمول بالتاريخ الإسلامي ولتحامله على الرسول (صلى الله عليه واله) محاولاً سلبه رسالته من خلال الإيحاء او التصريح باقتباس رسالته من الديانتين الكبيرتين المسيحية واليهودية.

اذ ذكر مارمول ديانتي والدا الرسول (صلى الله عليه واله) بان والده ينحدر من عائلة وثنية[44] اما عن والدته فكانت بحسب مارمول يهودية الأصل والديانة. فهو قد فاته انها ابنة عم لولد الرسول (صلى الله عليه واله) وهو ظاهر من النسب أعلاه مقارنة مع نسب الرسول (صلى الله عليه واله) فهي بحكم النسب يجب ان تكون وثنية بحسب انتمائها العائلي وهو السائد في زمنهم الوثني. رغم اننا لا نتفق مع كونهم وثنين. بل ان علماء الامامية اتفقوا على ان اباء رسول الله من لدن ادم الى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عز وجل موحدون له وان امنة بنت وهب كانت على التوحيد وأنها تُحشر في جملة المؤمنين[45].

والخطأ الثاني الذي وقع فيه انه عندما عدَّ والدة الرسول (صلى الله عليه واله) يهودية الديانة عدها ايضاً يهودية الاصل[46]. وهو خطأ ظاهر من خلال المقارنة أعلاه بين النسبين.

وذكر مارمول ان بعض سكان الجزيرة منقسمون الى عدة ديانات منها مسيحية ويهودية ووثنية وديانات اخرى[47] مثل عبادة الشمس والقمر والأشجار او الافاعي[48] على ان اكثر هؤلاء عبادة - بحسب مارمول- كانوا يعبدون الكعبة التي بناءها من قبل إسماعيل بحسب ادعاء العرب[49].

وكلامه يوُهم القارئ فيه بانهم كانوا يعبدون الكعبة وليس رب الكعبة او الاصنام التي فيها،

والتي لها احترام كبير لدى العرب[50].

ويذكر مارمول ان خاله تنبأ بانه سيصبح ملكاً ومشرعاً ذات يوم ويضيف وكان هذا الشخص عالم فلك كبير وساحر عظيم[51] ولم يثبت لدينا وجود خال للرسول (صلى الله عليه واله) مؤثر في حياته تنبأ له بمستقبل مميز بين اقرانه. ولعدم دقة مارمول في ضبط تواريخ الرسول محمد (صلى الله عليه واله) وهو بحسب ظاهر الروايات من انباءه بالنبوءة لأنه كان رجل دين نصراني. وربما كان يشير بهذا الرجل الى ورقة ابن نوفل ابن عم السيدة خديجة (عليها السلام) والتبس عليه الامر على انه خاله.

4. **زواجه**: تزوج الرسول محمد (صلى الله عليه واله) في سن الخامسة والعشرين من خديجة (عليها السلام) بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب[52] فهي من خلال نسبها تنتمي لنفس العائلة او القبيلة التي ينتمي اليها زوجها الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، وقد توالت على مر السنين عدة زيجات له بلغت ثلاثة عشر امراه بحسب الروايات التاريخية.

وقد سرد مارمول قصة زواجه من السيدة خديجة (عليها السلام) بتشويه كثير- ذاكراً أنها زوجة احد الكنعانيين الأثرياء الذين تركوا لها ثروة كبيرة[53]. ويستمر في سرد معلوماته التاريخية عن ذلك الزواج قائلاً ان السيدة خديجة (عليها السلام) كانت كبيرة السن رغب بها الرسول (صلى الله عليه واله) لوفرة مالها وكثرته بسبب ارثها الكبير.[54] وذكر ايضا الى انها كانت تعاني آلاما كثيرة جعلها الرسول محمد (صلى الله عليه واله) تعتقد انها لم تكن تعاني من مرض ولكن ما بها كان بسب حضور جبريل(عليه السلام) الذي كان حضوره يبهرها[55] ولم تذكر المصادر التاريخية الإسلامية اصلاً تلك الحادثة ولا علاقة السيدة خديجة (عليها السلام) بالملاك جبرائيل (عليه السلام). وأشار مارمول الى زوجة أخرى من اشراف العرب لم يسميها، زوَّجها له والدها طمعاً في أمواله التي خلفتها له زوجته السيدة خديجة (عليها السلام).[56]

كذلك فقد أشار بالجملة الى ان الرسول (صلى الله عليه واله) الى انه محباً للنساء وكانت لديه عدة زوجات في نفس الوقت وعدة خليلات[57] وهي افتراءات مستمرة ضد الرسول محمد (صلى الله عليه واله) قديمة جديدة محاوله منه ومن غيره من المستشرقين للنيل من اعتدال شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه واله) متناسين ان زواجه (صلى الله عليه واله) بهذا العدد من النساء لأهداف إنسانية واجتماعية او لأجل تطبيق المفاهيم الإسلامية التي اقرها القران الكريم وعندما تستعرض نماذج من زيجاته (صلى الله عليه واله) تتضح لنا هذه

الحقيقة الكبرى فزوجاته (صلى الله عليه واله) جلهم من الارامل ما عدا السيدة خديجة(عليه السلام) والسيدة عائشة، وكنَّ قد تخطين سن الشباب والنضارة ، وفي هذا اكبر دليل على ان تعدد ازواجه (صلى الله عليه واله) كان في واقعه لأجل معالم وأهداف إسلامية وإنسانية واجتماعية[58].

2. صفاته:

تناول المستشرقون سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله) بالنقد والتحليل، وغالوا في كثير من الاحيان في الحكم السلبي عليه (صلى الله عليه واله) وانصفوا احيانا اخرى، منطلقين من تعصبهم الديني المقيت تجاه الرسول (صلى الله عليه واله) والمسلمين، ناعتين اياه بالكذب، اذ يقول Santo Thomas de Aquino أن" ان قانون محمد فيه اكاذيب كثيره ومعتقدات ضد القانون الطبيعي بالرغم من كل هذا يتمسك المعرض المسلم بها" [59]. ومن خلال تتبع النصوص الاسبانية في مؤلفاتهم يتبين تصورهم الخاطئ لشخصية الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، اذ انهم يلصقون به تهمة الالوهية - كما هي الحل عندهم مع شخص السيد المسيح (عليه السلام)- اثنا نقل وجهات نظر المسلمين به(صلى الله عليه واله) وحديثهم عنه، اذ يروي ايتا وفي معرض نقل حوارية فرسان غرناطة، وعلى لسان ابو عبد الله الصغير قائلا:" وانا اعدكم بمحمد الذي اعبده"[60] ويقول في موضع اخر وعلى لسان مسلم اخر يتحدث عن خسارته لنزال :" ان ذلك واضح، يجب ان يخسر احد اللاعبين، وان كان محمد]صلى الله عليه واله [قد أراد أن يخسر من يخسر"[61]

6. امية الرسول: أشار مارمول الى هذا الموضوع منتهجاً رأياً مطابقاً لما عليه جمهور كبير من المسلمين القائلين بامية الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، قائلاً ان الخليفة عمر بن الخطاب امر بجمع القران الكريم - وهو مجانب للواقع - لان محمد (صلى الله عليه واله) كان امياً لا يعرف القراءة والكتابة[62] ومعرضاً بالرسول (صلى الله عليه واله) ناسباً له وضع القرءان وفقدان ذاكرته قائلاً عن كتابه الرسول (صلى الله عليه واله) للقران واملائه لكتبة القران الكريم كلما خطر بباله شيء املاه على أحد كتابه حتى يملي نفس الشيء عدة مرات عند فقدان ذاكرته[63].

على ان امية الرسول (صلى الله عليه واله) موضوع نقاش بين المسلمين فاغلب المذاهب الإسلامية تشير الى امية الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، ومن خلال نص للائمة الاثني عشر (عليهم السلام) يؤكدون على نفي تلك الصفة وعدها مخلة بشخصيته المباركة، فيُروى عن الامام محمد الجواد (عليه السلام)اذ روى الصفار رضوان الله تعالى عليه بسنده عن علي

بن اسباط او غيره قال قلت لابي جعفر الجواد (عليه السلام): ان الناس يزعمون ان رسول (صلى الله عليه واله) لم يكن يكتب ولا يقرآ؟ فقال (عليه السلام): كذبوا لعنهم الله أنّى ذلك وقد قال الله هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [64]. فيكون ان يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن ان يقرا ويكتب؟ قال قلت فلم سمي النبي (صلى الله عليه واله) امياً؟ قال عليه السلام: لأنه نُسب الى مكة. وذلك قول الله عز وجل لتنذر ام القرى ومن حولها، فام القرى مكة فقيل امي لذلك.[65]

7. اوصافه: ذكر مارمول اوصاف للرسول محمد (صلى الله عليه واله) ولا نعلم من اين استقى تلك الاوصاف، قائلاً عنه كانت بشرته سمراء فاتحة، متوسط الطول، قوي البنية ذو هيبة، لطيف كريم، كبير الرأس، طويل اللحية وكان يصبغ شعره لإخفاء الشيب يزدري كل المخاطر محباً للنساء[66]. وتلك الصفات بعضها له (صلى الله عليه واله) وبعضها افتراءات من المؤلف.

وقد احتفظت كتب التاريخ بأوصاف له اذ تروي المصادر التاريخية عن ام معبد انها وصفته قائلة " رَأَيْتُ رَجُلا ظَاهَرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ نُحْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى: وَسِيمًا قَسِيمًا فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ غَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ، فَصْلٌ، لا نَذْرٌ وَلا هَذْرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَنْحَدَّرْنَ، رَبْعَةً لا بَائِنٌ مِنْ طُولٍ، وَلا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنًا بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ، لا عَابِسٌ وَلا مُفْنِدٌ "[67].

8. اولادة: ذكر مارمول بان له ثلاث أولاد إبراهيم، عبد الله، وحامد، توفوا جميعهم قبله[68] وهم بحسب ما أورده المؤرخون القاسم والطيب الطاهر واسمه عبد الله والأخير إبراهيم[69] ولم يذكر المؤرخون بان له ابن اسمه حامد. أما بناته فقد ذكر مارمول بان له خمس بنات اولاهن فاطمة الزهراء ورقية وام كلثوم وعاتقة[70] بينما أورد المؤرخون بناته أربعة فاطمة (عليه السلام) وزينب ورقية وام كلثوم[71]. ولم يفرق مارمول بين اسم فاطمة ولقبها فعدهم اثنتين لبنات الرسول (صلى الله عليه واله) واتى بعاتقة بنت للرسول (صلى الله عليه واله) لم يذكرها المؤرخون.

9. الوحي: الوحي هو الطريقة التي يتصل بها الرسول محمد (صلى الله عليه واله) بالله تعالى بواسطة الملاك جبرائيل (عليه السلام) مثله مثل بقية الأنبياء السابقين (عليهم السلام) هذا هو التعريف البسيط والعام للوحي. وقد انكر أغلب المستشرقون والاسبان من رجال دين وغيرهم نزول الوحي على الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، ومنهم إولوخو الذي أرجع ذلك الى شيطان خدع الرسول محمد (صلى الله عليه واله) موهما له على انه الوحي جبرائيل(عليه السلام) ومنتقصا اشد الانتقاص من اصحابه قائلا:" ظهر له الشَّيطان على هيئة نسر، وأبرز له منقاره الذهبي، فاعتقد أنه في حضرة جبرائيل، في فخدعه هذا، وحثه على تقديم نفسه على أنه نبي، وبقدر كبير من الكبرياء، أخذ يعظ حيواناته البلهاء بأشياء غريبة"[72].

وهذا القول يكرره الفونسو ويلتقي بسلفه إولوخو الذي حاول انفا ان يجعل من الوحي شيطان يوسوس للرسول قائلا: كما ان وحْيه ليس الا همزات شيطانية، فلهذا يحظى بمساندة اتباع الشيطان، وهم اليهود الذين علموه السحر منذ كان يتيما.[73]

ويقول إولوخو كذلك منتقدا القران الكريم واصفا اياه بانه من انشاء الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، ويسخر من آياته وسوره بطريقة سمجة تنم عن سطحية في قراءته للقران الكريم، يدفعه تعصبه وحقده على الاسلام والمسلمين، اذ يقول:" وكتب هذا النبي المزيف اناشيد يرددها هؤلاء الحيوانات، القساة القلوب، الذين يذكروننا بالعجول الحمراء. فكتب قصة العنكبوت التي تصطاد الذباب بالفخاخ، ونظم بعض الاغاني عن الهدهد والضفدع، كي تنبعث رائحة كريهة من فم الاول، وكي لا يفارق النقيق شفتي الثاني، وليكمل أضاليله، كتب نصوص اخرى عن يوسف النجار ومريم والدة الرب" [74] وقد حاول المستشرق رايموند لوليو (ت714هـ/1315م) Raymundo Lulli[75] الحط من قيمة القران الكريم من خلال معارضته للقران الكريم، في محاولة منه لسلب معجزة وبلاغة القران الكريم، وهو بمثابة هذيان زعم أنه من قبيل معارضة القرآن وهذا نصه: "بسم الله الغفور الرحيم أعارض قرآن من آخر أسمه الدال وأوله الميم، بلسان فصيح عربي مبين، لا يمنعني منه سيف ولا سكين، إذ قال لي بلسان الإلهام سيد المرسلين، قل المعجزة لا شريك فيها لرب العالمين، وفي الفصاحة يشترك كثير كثيرين، يغلب فيها أحياناً الصالح الطالح والكافر المؤمنين، فليست الفصاحة ولو في النهاية آية ولا معجزة الله إلا عند الذين أوطأهم عشوة معلم مجنون حتى قالوا عنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مع أنه بإقراره في سورة الأحقاف لم يدر قط ما يفعل به ولا بأتباعهِ أجمعين أكثرين فقل يا من أسمه رمُنْد ولقبه مرتين آه لقوم يقبلون الباطل والخرافات والترهات كأنها اليقين، وأن كنتم في شك ممّا ألهمنا إليه عبدنا يا معاشر

المسلمين، فأتوا بحل هذه الحجة وبمثل هذه السورة وأدعوا لذلك إخوانكم من الجن أن كنتم مهتدين ، فإن لم تقدروا ولن تقدروا فقد زهق الباطل واستقام اليقين والحمد والشكر لله آمين أمين" [76]

ونتيجة لتخبط الفونسو وحقده على الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، فقد خلط بين مقام النبوة والامامة، وكذبه نتيجة لذلك، اذ يزعم انه قال للسيدة خديجة بانه المهدي المنتظر[77]

ويستمر الفونسو يسيره جهله وحقده بحكمه على شخص الرسول محمد (صلى الله عليه واله) واسمه، بترهات الاقوال والتي لا تمت للواقع بصلة، محاولا بذلك التقلقل من شخصه (صلى الله عليه واله) امام اتباعه، وليس امام المسلمين، لأنها محض افترى وكذب بيَّن لا تنطوي على المسلمين ومن ذلك قوله: كلمة محمد مشتقة من مهوند التي تعني في القرون الوسطى ابليس وأمير الجحيم، الذي يستمد منه قوته الشريرة ولون اتباعه الاسود[78]

وهو بترديده لصورة ابليس والجحيم ولون اتباع الرسول(صلى الله عليه واله) الاسود يريد ان يولد انطباعا عما يُتصور عن هذا العالم المظلم.

وهو ما أشار اليه مارمول بقوله كان جبريل (عليه السلام) يحضر ليلقنه أشياء كلفه الله بنشرها[79]. والغريب ان إولوخو ينتقد الرسول محمد (صلى الله عليه واله) لأنه امر اصحابه بعبادة الله تعالى، اذ يقول انه امرهم " بترك عباده الاصنام ليعبدوا الهاً لا جسد له "[80].

ونعته المستشرق رايموند بالجنون قائلا:" معلم مجنون حتى قالوا عنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين" [81]

ويتجه إولوخو اخيرا الى ما سيدأب عليه خلف من اتهامات للرسول محمد (صلى الله عليه واله) بنشر الدين الاسلامي بحد السيف، وينال مرة اخرى من اصحابه قائلا:" ثم امر اتباعه بحمل السلاح وقتل اعدائهم مما يعني تعصبهم"[82]

10. الحج: يذكر مارمول ان الرسول محمد (صلى الله عليه واله) أمر بتحويل الحج من القدس الى مكة حيث الكعبة[83] والمتتبع للتاريخ ينكر على مارمول هذه المعلومات الخاطئة فالحج منذ ان عرفه العرب فهو يتم باتجاه مكة، نعم اذا كان هناك من تحويل فهو تحويل للقبلة اذ امر الرسول محمد (صلى الله عليه واله) الناس في السنة الثانية من الهجرة بتحويل القبلة من القدس الى الكعبة وأشار القران الكريم عن ذلك قائلاً " قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

يَعْمَلُونَ "[84]. والظاهر ان مارمول لم يفرق بين تحويل القبلة وبين موسم الحج.

وعن مكة وطريقة بنائها يذكر الفونسو العالم خطا معلومات تتناقض مع المرويات التاريخية الاسلامية وغيرها، والتي يحاول ان يسلب من مكة قدسيتها، التي اكتسبتها لكونها بيت الله الحرام، **اذ يقول: بانها بنيت من الاخشاب التي كان ملك مصر يبعث بها في سفينة الى الحبشة لبناء كنيسة، فسطا عليها أهل مكة وأقاموا بها معبدهم الذي وضعوا به الحجر. وكان المعين لوضع هذا الحجر، هو كل** شخص داخل الاول من أحد أبواب المعبد وكان هو محمد، فرأوا في هذا معجزة واتخذوه نبيا[85] والرواية اعلاه فيها بعض الحقائق المحرفة فالأخشاب تلك كان من شأنها أن قريشا حين بنوا الكعبة المشرفة في زمن النبي (صلى الله عليه واله)، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى ساحل جُدة وكان ساحل مكة الذي قبل ذلك يرمي به السفن يقال له الشعيبة فلما كانت السفينة بالشعيبة ساحل مكة انكسرت، وقيل: كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم، يُحمل له فيها الرخام والخشب والحديد، فلما بلغت مرساها من جُدة، وقيل من الشعيبة بعث الله عليها ريحا فحطمها، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها .[86]

واما مسالة اختيار اول طالع لهم ففيها نظر لان الروايات تدل على ان الرسول اختير اختيارا لهذه المهمة الكبرى لما يتمتع به من حنكة وحكمة في مثل هذه الامور لدفع هذا الضرر المترتب على النزاع، وتذكر بعض الروايات أنهم كانوا يتحاكمون عند النبي (صلى الله عليه واله) في الجاهلية بأنه كان لا يداري ولا يمالي. ولمّا وصل إليهم أخبروه بما اختلفوا فيه، فطلب منهم ليعالج الموقف أن يحضروا له ثوباً. فأتوا له بثوب كبير، فأخذ الحجر الأسود ووضعه فيه بيده، ثم التفت إلى شيوخهم وقال لهم :"لتأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب ثم ارفعوه جميعاً". فاستحسنوا ذلك ورأوا فيه حلاً يحفظ حقوق الجميع ولا يحرز لأحد امتيازا على الأخرين. فأقبل من كل قبيلة شخص وأخذوا بأطراف الثوب ورفعوه بأجمعهم. ولمّا أصبح الحجر بمحاذاة الموضع المخصص له أخذه رسول الله (صلى الله عليه واله) بيده الكريمة ووضعه في مكانه. وبعد ذلك أتمّوا بناء الكعبة كما خططوا لذلك.

11. الهجرة: تعد الهجرة أهم نقطة مفصلية ساعدت الرسول(صلى الله عليه واله) على نشر الدين الاسلامي في ربوع الجزيرة العربية، بعد ان وقفت قريش أمام نشر الدعوة الاسلامية، وعدم تمكن الرسول من نشر الاسلام في الطائف، لموقفهم السلبي منه، هذا الامر الذي اراحَ واقرَّ عين القديس ايسيدوروس اذ انه في سنة (619م) واثناء انعقاد مجمع اشبيليَّة الكنسي، اشاره القديس ايسيدوروس Isidoro الى ان هناك رجل يعيش اشدَّ ايامه مرارة وهو محمد

نبي العرب الذي فشل في اقناع اهل بلده بدعوته، كما فشل في نشر رسالته بين غيرهم" [87].

محمد قرر الرسول محمد (صلى الله عليه واله) الخروج من مكة نظراً للمخاطر التي أحاطت به لاسيما بعد موت كافله ابي طالب (عليه السلام) فخرج الى يثرب مهاجراً. الا ان مارمول يسرد سبباً بعيد كل البعد عن الواقع التاريخي فيذكر ان أبا بكر هو الذي كان صاحب الفكرة في اخراج الرسول (صلى الله عليه واله) من مكة الى المدينة بواسطة احد الاثرياء[88] وهذه كلها احداث وهمية لا تمت للواقع بصلة وأرخ مارمول تلك الهجرة عام 613 ميلادية [89]. وهو خطا فادح فالسنة الميلادية التي تقابل السنة الأولى للهجرة هي 622م. وذكر ذلك في معرض حديثه عن ابتداء التاريخ الخاص بالمسلمين واعتمادهم على هجرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله)[90] ونظراً لجهله بتاريخ المسلمين كما قدمنا سابقاً فقد ذكر ان المسلمين قد هجروا تاريخ ما يعرف بالصفر وهو إشارة الى الروم لان العرب كانوا يسموهم بني الاصفر واستخدموا التاريخ الهجري بدل تاريخ الصفر وهو خطا واضح كما قدمنا. فالعرب لم يعرفوا تاريخ محدد لهم بل كانوا يؤرخون بالحوادث المشهورة لديهم مثل موت عبد المطلب والسيول التي تضرب مكة او بحادثة مشهورة مثل حادثة ما يعرف بعام الفيل وقد أُرخ به ولادة الرسول محمد (صلى الله عليه واله). ومن هذه الأمثلة يتبين مدى معرفة العرب بالتاريخ والتواريخ.

وتاريخ الصفر هذا بحسب ما يعرفه المقري قائلاً: "ان اكُتيبيان [Octavian] ثاني قياصرة الروم... ملك اكثر الدنيا وصفح نهر الرومية بالصفر فأرخت الروم من ذلك العهد وكان قبل ميلاد المسيح بثمان وثلاثين سنة"[91]. وقد ذاع استعماله في اسبانيا المسيحية من القرن الخامس الميلادي حتى القرن الخامس عشر الميلادي/ الثامن الهجري وكانت بدايته اليوم الأول من شهر يناير عام 38 ق.م ويشار اليه في المصادر العربية الاندلسية دون المشرقية[92].

وهذا يدل على تأثر الأندلسيين به دون المشارقة بحكم الجوار الجغرافي، وعرف ايضاً بتقويم العجم ذكره عدة مؤرخين مسلمين اندلسيين كما في قول ابن حيان الاندلسي (ت 469 هـ/1076م) "برز الخليفة الناصر لدين الله لغزوته هذه يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من هذه السنة [أي سنة 310هـ] وهو اليوم السابع من شهر ابريل العجمي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لتاريخ الصفر"[93].

ومن ذلك يتضح مدى اعتماد الاسبان على هذا التاريخ ومنهم مارمول فاعتمد على ثقافته الاسبانية التي انعكست على مؤلفاته، واعتقد ان العرب في المشرق كانوا يعتمدون على تاريخ الصفر مثلما اعتمدوا عليه في الاندلس.

وحول جهود الرسول محمد(صلى الله عليه واله) في نشر الدعوة الاسلامية فالمعروف تاريخيا

انه (صلى الله عليه واله) لم يغادر شبه الجزيرة العربية، الا ان سذاجة الفونسو العالم التي تنم عن عدم معرفته بتاريخ المسلمين جعلته يعتقد ان الرسول محمد(صلى الله عليه واله) قد سافر الى قرطبة لنشر دعوته التي ما لبث ان هرب منها لتنبه احد القديسين هناك وفي ذلك يقول هذا الملك " ثم ان محمد قام بزيارة الى قرطبة بإسبانيا وشرع في نشر عقيدته، لو لم يتفطن لوجوده القديس إسيدرو الذي وصل من بلاط روما وبعث باتباعه للقبض عليه، الا ان إبليس أخبر محمد بذلك وامره بالخروج من قرطبة الى ما وراء البحر"[94]

12. وفاته:- تشفى إولوخيو بموت الرسول محمد(صلى الله عليه واله)" قائلا " ثم مات ودفن في جهنم"[95] ويضيف كذبا من غير مراعاة الحقائق التاريخية قائلا: وهكذا بعد موته اعاد اتباعه روحه الى جهنم، وسهروا ثلاث أيام على جثمانه مع حراسه شديدة. وبعد ثلاثة أيام انتشرت الرائحة الكريهة وعرف اتباعه انه لن يقوم أبدا"[96] ويروي الفونسو ان وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه واله)" نتيجة لتسمم قام به أحد أتباعه، ليرى هل سيبعث في اليوم الثالث كما كان يدعى، ولكنه بعد مرور احد عشر لم يبعث كما قال"[97]

يروي مارمول في خبر وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه واله) انه توفي في سن الثالثة والستين جراء سم وُضع له في تفاحة أعطاه إياها سكرتيره. وقد بقي ثلاثة أيام قبل دفنه معتقدين انه سوف ينبعث من جديد ولكن في النهاية تم دفنه دون مراسيم فخمة ممداً على سريره في نفس الغرفة التي كان ينام فيها[98]. والظاهر من الرواية لدى مارمول عدة حقائق تتفق مع روايات المسلمين منها انه توفي في حجرته ودفن فيها دون مراسيم فخمة وعمره كان قد بلغ الثالثة والستين. اما مسالة سم الرسول (صلى الله عليه واله) فإنها مسألة خلافية بين المسلمين فيذهب بعضهم انه توفي حتف انفه. اما البعض الاخر فيذكر انه توفي مسموماً ومنهم عبد الله بن مسعود اذ قال" لئن احلف تسعاً ان رسول الله قتل قتلا أحب الي من ان احلف واحدة انه لم يقتل وذلك لان الله اتخذه نبيا واتخذه شهيد"[99] وقال الشعبي والله لقد سم رسول الله.[100]

وايضاً ذكرت السيدة عائشة" لددنا (قمنا بتطعيم) رسول الله في مرضه. فقال (لا تلُدوني) فقلنا كراهية المريض للدواء، فلما افاق قال لا يبقى منكم أحد الا لد غير العباس فإنه لم يشهدكم.[101]

وكان الرسول (صلى الله عليه واله) قد أمر من في الدار بأن لا يلدوه ولا يجرعوه أي دواء مهما كان، اذ روي انه قال لهم بعد سقيه اياهم ذلك الدواء المزعوم" لم أنهكم ان لا تلدوني"[102].

ولم يصل الينا من كتب التراث انه (صلى الله عليه واله) قد سُمَّ في تفاحة، كذلك لم يكن له

سكرتير بالوجه الذي حدده مارمول له،

ويذكر الفونسو انه في يوم وفاته" أصيبت الارض بالزلازل وظهرت في السماء علامة في صورة سيف لمده ثلاثين يوما، كرمز لجبروت المسلمين وتعطشهم للدماء"[103] وهو ما لم يحصل ابدا ولكنها من بنات افكار هؤلاء الحاقدين.

اما مسألة بقائه ثلاثة أيام التي ذكرها مارمول وغيره [104] فهي تتفق مع ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من انه توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى دُفن يوم الأربعاء[105].

ويفصل ابن سعد هذه الموقف برواية ضعيفة استند عليها هؤلاء المستشرقين، في بناء اراءهم التي تسي لمقام النبوة، وهم الذين يتتبعون كل غث من الروايات الاسلامية التي اشترك الوضَّاعون بها، اساءة منهم للرسول محمد اذ قال: " لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم ائْتَمَرَ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا :تَرَبَّصُوا بِنَبِيِّكُمْ صلّى الله عليه وسلم لَعَلَّهُ عُرِجَ بِهِ ، قَالَ: فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى رَبَا بَطْنُهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ":مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ." [106]

وكلتا الروايتان الإسلامية وما أورده مارمول ربما فيها شيء من البعد عن الحقيقة اذ ندب الشرع بالتعجيل بدفن الميت وكيف والميت هو صاحب الشرعية فضلاً عن الروايات التاريخية التي تؤيد دفنه (صلى الله عليه واله) بعد وفاته مباشرة.

واما قبره الشريف فتشير اليه الروايات الاسبانية بخزعبلات تنم عن سذاجة قائلها، وتفكريهم السطحي، وثقافتهم الضحلة، اذ يقول النصارى ان قبر الرسول (صلى الله عليه واله) معلق" في حلقة من حديد في الهواء في وسط قبة مبنية بحجر المغناطيس الذي من خاصيته يجذب الحديد اليه لأنه مدفون في الارض في مدينته "[107]

13- استخلافه للإمام علي (عليه السلام):

قد ذكر مارمول حدث اختلف فيه المسلمون الا وهو مسألة استخلاف الرسول محمد (صلى الله عليه واله) للامام علي (**عليه السلام**) بعده للخلافة اذ يميل بروايته الى جانب الامامية في تأييد تنصيب الامام علي (**عليه السلام**) بالخلافة بأمر الله تعالى بواسطة جبريل (**عليه السلام**)، وهو امر يبعث على الاستغراب والدهشة اذ كيف وصل اليه وتناهى الى سمعة قصة تنصيب الامام علي (**عليه السلام**) بالخلافة، وما هي الكتب التي طالعها واطلع من خلالها على مسألة تنصيب الامام (**عليه السلام**) بالخلافة بعد الرسول (صلى الله عليه واله) اذ يذكر ذلك قائلاً لما احتضر محمد (صلى الله عليه واله) عين خليفة له صهره علي زوج فاطمة قائلاً

عنه انه ولي صالح من سلالة الأنبياء بإمر الملك جبريل (**عليه السلام**)[108]. ومارمول كانما يتحدث عن عدة احاديث للرسول محمد (صلى الله عليه واله) في قضية تنصيب الامام (**عليه السلام**) للخلافة، أهمها حديث الدار، وحديث المنزلة، وحديث الغدير، واما الحديث الأخير فهو يشرح قضية تنصيب الامام (**عليه السلام**) للخلافة وصل الى حد التواتر واوردته كتب العامة والخاصة ومضمونه عن زيد بن أرقم قال: "لما رجع النبي (صلى الله عليه واله) من حجة الوداع نزل عند غدير خم أمر بدوحات فقمن ثم قال: كأني دعيت فأجبت واني تارك فيكم الثقلين، احدهما اعظم من الاخر، كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض... ثم قال: ان الله مولاي وان ولي كل مؤمن: ثم اخذ بيد علي (**عليه السلام**) فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم ول من والاه وعاد من عاداه... فقلت لزيد: سمعته من رسول الله (صلى الله عليه واله) قال: نعم، وانه ما كان في الدوحات أحد الا ورآه بعينه وسمعه بأذنيه..[109]".

فهذا النص وغيره يدل على توليه الرسول (صلى الله عليه واله) للإمام علي (عليه السلام) والذي نزل بعد قوله تعالى " **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**"[110].

وبعد رجوع الرسول (صلى الله عليه واله) والمسلمون الى المدينة اتى رجل وهو الحارث بن النعمان الفهري بلغه قول الرسول (صلى الله عليه واله) في علي (**عليه السلام**) من كنت مولاه فهذا على مولاه، راكبا ناقته حتى اناخها بالأبطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله ان نشهد ان لا إله الا الله فقبلنا منك... الى قوله: ثم لم ترضى بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا، افهذا شيء منك ام من الله؟ فقال النبي (صلى الله عليه واله) والله الذي لا إله الا هو، ما هو الا من الله، فولى الحارث وهو يقول: اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء وأتنا بعذاب اليم، فو الله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت الآية "سئل سائل بعذاب واقع"[111]. وهذه الأحاديث وغيرها هي مشروعية قوله (صلى الله عليه واله) للإمام (**عليه السلام**) بالخلافة. ويؤكد مارمول ان الرسول (صلى الله عليه واله) جعل علي وفاطمة عليهما السلام من خلال هذا التنصيب هو ان يجعلهم حامي الدين[112].

الهوامش:

[1] ادوارد سعيد، الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، (بيروت، 1981م)، ص80.

2 النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء، (وات – بروكلمان – فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط1 ،المعهد العالي للفكر الإسلامي، (الولايات المتحدة الامريكية، 1997م)، ص18.

3. العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، (مصر، 1965م)، ج3 ص1156 – 1157.

4. النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية ، ص18.

5 . فوك، يوهان، تأريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في اوربا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، مطبعة السفير، (الأردن،2014)، ص277.

6. عبية، عبد المقصود، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية (بيروت،2004م)، ج2، ص988.

7. المرجع نفسه، ج2، ص988.

8. يرادة، محمد، دراسات اسبانية للسير النبوية، مجمع الملك فهد للطباعة، (المجلة العربية السعودية، 1425هـ)، ص8.

9. يرادة، دراسات اسبانية للسيرة النبوية، ص8.

10. De Medina، Islam and Christian Spintuality in spain contacts، p.99;

بدوي، عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين ، ط3، دار العلم للملاين، (بيروت، 1993م)، ص49-50.

11. خيسوس، ماريا، الادب الأندلس ترجمة اشرف علي دعدور، الهيئة العامة لشون المطابع الأميرية (مصر،1999م)، ص317.

12. حايك، سيمون، تعربت وتغربت او نقل الحضارة العربية الى الغرب، المطبعة البوليسة، (لبنان،1987م)، ص248.

13. عيد، يوسف، الفنون الاندلسية وأثرها في اوروبا القروسطية، دار الفكر اللبناني، (بيروت،1993م)، ص231.

14. الكبيسي، عبد العزيز شاكر حمدان، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الاسبان، بحث مقدم لمؤتمر السيرة النبوية في الكتابات الاسبانية التي تنعقد في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية، 2008م، ص10.

15. الكمون، أحمد، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/ 1284م، بحث مقدم لمؤتمر السيرة النبوية في الكتابات الاسبانية التي تنعقد في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية، 2008م، 2008م، ص81.

16. وقائع ثورة الموريسكين، ج1، ص81.

17. Luis del Marmo y Carvijal، L afriqve،(Paris،1667)، p.112.

18. مارمول، وقائع ثورة الموريسكين، ج1، ص81.
19. المصدر نفسه، ج1، ص81.
20. المصدر نفسه، ج1، ص80.
21. Marmol، Lafiqve p.112
22. منهم على سبيل المثال ابن هاشم، أبو محمد عبد الملك بن هاشم المعافيري، (ت218هـ)، السيرة النبوية، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، (لبنان،2007م)، ج1، ص134؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت 774هـ) البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، دار الفكر، (بيروت، 1986م)، ج2، ص84.
23. مارمول، وقائع ثورة الموريسكين، ج1، ص81.
24. Fernando de Granja Santa maria، Estudios de historia de AL-Andlus، Real Academia de historia، (Madrid، 1999)، p.p. 2-8-211؛

وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر، الدراجي ، عدنان خلف سرهيد، التأثير الحضاري المتبادل بين الاندلس الإسلامية واسبانية النصرانية خلال عصر غرناطة 635 – 897هـ مطبعة حميثرا (جمهورية مصر العربية، بلات)، ص97-102.

25. Marmol، p L'afriqve ، p.113.
26. أبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص134.
27. أبن شهر اشوب، محمد بن علي بن شهر اشوب المازندراني، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، دار الاضواء ، (بيروت ، بلا ت)، ج1، ص155.
28. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.
29 .Ignacio olague، La Revolucion islámica en Occidente، Cordoba،2004.p.223-248.
30. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.
31. Marmol, p L'afriqve , p.114.
32 . Marmol, p L'afriqve , p.113.
33. Ibid, P113.
34. Ibid, P113.
35 النعيم، الاستشراق في السيرة، ص 65.
36. Ibid, P113.
37. Ibid, P113.

38 ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص188.

39 .Ignacio olague, La Revolucion islámica en Occidente, Cordoba،2004,p.223-248.

40. Marmol, p L'afriqve , p.113.

41. Ibid, P112.

42. Ibid, P112.

43 ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص99.

44 Marmol، p L'afriqve ، p.112.

45 الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري البغدادي،(413هـ) أوائل المقالات، مكتبة مهر،(قم المقدسة، 1413 هـ ق)، ص 51-52.

46. Marmol, p L'afriqve , p.113.

47. Ibid, P113.

48. Ibid, P113.

49. Ibid, P113.

50. Ibid, P115.

51. Ibid, P113.

52. ابن هاشم، السيرة النبوية، ج1، ص153.

53. Marmol, p L'afriqve, p.114.

54. Ibid, P114.

55. Ibid, P114.

56. Ibid, P114.

57. Ibid, P121.

58. ينظر الصابوني، محمد علي، شبهات واباطيل حول تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه واله)، (المملكة العربية السعودية، 1980م)، ص6 وما بعدها.

59 . Verdadero caracter de Mahoma y de su religión : justa idea de este falso profeta، sin alabarle con exceso, ni deprimirle con odio.p.213.

60. بيريث دي ايتا، (ت1028هـ / 1619م)، الحروب الاهلية في غرناطة، ترجمة، مروة محمد ابراهيم، المجلس الاعلى للثقافة، (مصر، 2009م)، ص296.

61. المصدر نفسه، ص157. وغيرها الكثير.

62 . مارمول، افريقيا، ج1، ص150

63. المصدر نفسه، ج1، ص150

64. سورة الجمعة: اية :2.

65. الصفار، ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ، (290ه)، بصائر الدرجات، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت ،2010م)، ج 5، ص246.

66. Marmol, p L'afriqve, p.121

67. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ،(405ه)، المستدرك على الصحيحين، طبع دار الكتب العلمية، (بيروت، 1411ه)، ج3، ص10.

68. Marmol, p L'afriqve, p.121

69. ابن هاشم، السيرة النبوية، ج1، ص302.

70. Marmol, p L'afriqve, p.121

71. ابن هاشم، السيرة النبوية، ج1، ص 302.

72 .Ignacio olague, La Revolucion islámica en Occidente, Cordoba ,2004.p.223-248.

73. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.

74 .Ignacio olague, La Revolucion islámica en Occidente, Cordoba ,2004.p.223-248.

75. لوليو: راهب ومتصوف ميورقي ولد في جزيرة ميورقة في مدينة بالما في 632ه/1235م، كان همه الشاغل الدفاع عن المسيحية، حتى دفعه ذلك الى تعلم العربية بإتقان ليستطيع مجادلة المسلمين. وكان يطوف على المدن حتى شملت شمال أفريقية، تأثر بالمتصوفة العرب، توفي سنة 714ه/1315. ينظر ترجمته فيرنيت، فضل الأندلس، ص262؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص543.

76. بن شريفة، محمد، الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني، بحث منشور في كتاب المغرب في الدراسات الشرقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (مراكش، 1993م)، ص70-71 .

77. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.

78. المرجع نفسه، ص81.

79. Marmol, p L'afriqve , p.114

80 .Ignacio olague, La Revolucion islámica en Occidente, Cordoba، 2004.p.223-248.

81. بن شريفة، الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني، ص70-71 .

82 .Ignacio olague, La Revolucion islámica en Occidente, Cordoba، 2004.p.223-248.

83. Marmol, p L'afriqve , p.121

84. سورة البقرة: اية144.

85. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.

86. الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج نور الدين، ت (1044ه)، السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2013م)،ج1، ص208.
87. فيرنيت، خوان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ترجمة، نهاد رضا، دار اشبيلية، (دمشق، 1997م)، ص9- 10.

88. Marmol, p L'afriqve , p.115

89. Marmol, p L'afriqve, p.116

90. Marmol, p L'afriqve , p.116

91. المقري، احمد بن محمد بن احمد المقري التلمساني، (ت1041ه/1632م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1988م)، ج1، ص81.
92. اليعقوبي، الحسين، تاريخ الصفر او التقويم العجمي بالأندلس، مجلة دراسات اندلسية، ع 20، (تونس، 1998م) ، ص53-54.
93. أبو مروان، حيان بن خلف بن حصين بن حيان،(ت469ه / 1076م)، المقتبس من تاريخ رجال الاندلس، عني بشره الاب ملشوم انطونيه، بولس كتز الكني، (باريس، 1979م)، ج5، ص85.
94. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.

95 . Ignacio olague, La Revolucion islámica en Occidente, Cordoba، 2004.p.223-248.

96 . Ibid, p.223-248.

97. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.

98 Marmol, p L'afriqve ,p.121

99 ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (774ه)، السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت، 1976)، ج4، ص449.

100 . الحاكم، المستدرك، ج3، ص60.

101. الحاكم ، المستدرك، ج4، ص202

102. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (751ه)، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم، دار الهلال،(بيروت بلا ت)، ج1، ص66.
103. الكمون، صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة التاريخية عند الفونسو الحكيم 1221/1284م، ص81.

104 . Marmol, p L'afriqve , p.121

105. أبن هشام، السيرة ،ج652،4؛ أبن سعد، محمد بن سعد بن منبع الزهري، (ت230هـ)، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي ،(القاهرة، 2001م)، ج2، ص238؛ البغوي، المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي، (ت516هـ)، شرح السنية، تحقيق شعيب الارناؤوط، المكتب الاسلامي، (بيروت، 1983م)،ج14، ص49.

106. ابن سعد ،الطبقات،ج 2،ص271 .

107. الحجري، أحمد بن قاسم الحجري، (ت 1050هـ/1640م) ، ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقبق شورد فان كوننكزفلد، ترجمة قاسم السامرائي، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي،(اسبانيا)،ص60.

108 مارمول ، افريقيا، ج 1، ص136.

109. النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي، (ت 303هـ)، خصائص أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) ، أحمد ميرين البلوشي، مكتبة العلى، (الكويت، 1406هـ)، ص39-40-41.

110. سورة المائدة: اية: 67.

111 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر ،(ت671هـ)، الجامع لإحكام القران ، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، ج18، ص287-289.

112 مارمول، افريقيا، ج 1، ص136.

The image of the Prophet Muhammad in the medieval Spanish perspective

Assist Prof Dr. Adnan Khalaf Sarhid
College of Education-Al-Mustansiriya University
a.sirheed@yahoo.com

Keywords: Prophet Muhammad. Orientalism. Spanish

Summary:

This research is concerned with tracing the biography of the great messenger Muhammad in Spanish Orientalism in his early ages and the beginnings of their contact with the Arabs, especially among their scholars who are among the first Spaniards who wrote in their history about the Messenger Muhammad and the Muslims, trying in one form or another to understand the nature of a Muslim and his religion to get to know it closely in order to confuse them intellectually, As well as getting to know their private lives in order to understand the nature of a Muslim to emulate him intellectually influenced by Muslims because of their distinct civilization at that time. Especially the author of the message, the Messenger Muhammad, and to see what they wrote about him, trying to elucidate the truth, which these fanatics wanted to hide in order to visit his honorable history and show it in another appearance that is inconsistent with his great personality and through our study of books, not forgetting the rare events they mention, in which Muslims disagreed with each other. They agreed different teams and disagreed with others, according to their vision of the events.